

## دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري

طيب جاب الله \*

### الملخص :

تندرج هذه الدراسة ضمن الدراسات المتعلقة بالطرق الصوفية والزوايا من منظور اجتماعي وثقافي وما يمكن القول عن زوايا الطرق الصوفية أنها كانت ولا تزال عاملا موحدا بين بلادان وشعوب العالم الإسلامي عامة وشعوب البلاد المغاربية خاصة لأن انتشار هذه الزوايا والطرق لا يعرف حدودا إدارية أو غير ذلك ، ولأنه أكسب هذه البلدان ثقافة مشتركة تسمح على الأقل بالإحساس وبالتواصل وبوحدة الانتماء. لقد لعب المتصوفة دورا اجتماعيا وتربويا كبيرا انعكس على حياة هذه المجتمعات وخاصة في الجزائر ، لقد عرف عنهم أنهم قوم اجتماعيون هدفهم بناء حياة سعيدة للفرد في الدنيا والآخرة .

وبالرغم من ذلك فلقد قيل عن المتصوفة كذلك بأنهم يشجعون على نشر الخرافات والبدع إلا أن هناك من لا ينكر إخلاصهم ودورهم الفعال في حياة الناس .

فإذا نظرنا من الناحية الاجتماعية فنجد أن زوايا الطرق الصوفية في الجزائر عملت على إزالة الخلافات بين مختلف فئات المجتمع وفك النزاع بين العشائر والقبائل لذلك كثرة في المدن والأرياف و التي بدورها تؤدي دورا اجتماعيا كإيواء العجزة والمساكين والغرباء وليكون بذلك الشيخ الذي يترأس أو يمثل الزاوية أو الطريقة هو بمثابة المسؤول والحاكم بين أفراد المجتمع ويفصل في جميع القضايا والخلافات الاجتماعية ، بالإضافة إلى الدور التربوي الذي يقدمه كذلك من تعليم لسكان وهذا ما جلب له التأييد والطاعة المطلقة .

ولولا هذا التأثير الكبير الذي قامت ولا زالت تقوم به زوايا الطرق الصوفية لكثرت عليها الدراسات والاهتمام سواء من الرافضين لهذه الطرق أو المحبين له

### Abstract

Fall of this study within the studies on ways of Sufism and angles from the perspective of social, cultural , we can say that the corners of the Sufi was and still is a unifying factor between the country and the peoples of the Islamic world in general and the peoples of the countries of the Maghreb , especially because the prevalence of these angles and roads

\*.استاذ بقسم العلوم الاجتماعية - جامعة البويرة -

did not know the limits of administrative or otherwise, and that he earned this developing a common culture that allows at least a sense of communion and unity of belonging and played a role socially and educationally significant reflected on the life of these communities , particularly in Algeria , they have been known for their folk social workers aim to build a happy life for everyone in the world and the Hereafter .

Although it has been said about the Sufis as well as they are encouraged to disseminate myths and fads, however, there is no denying their devotion and their effective role in people's lives .

If we look at social terms , we find that the corners of the Sufi orders in Algeria worked to eliminate the differences between the various groups in society and decoding the conflict between clans and tribes and so frequent in urban and rural shrines and angles and domes that play a role socially Kaioae the infirm and the poor and strangers and to be so Sheikh , who heads or a corner or way is a responsible ruler between community members and separates in all issues and social differences , in addition to that provided by the educational role of education as well as for the people and this is what brought him support and absolute obedience

Were it not for the significant impact that this has and continues to play the corners of the Sufi orders to the nu

#### مقدمة :

إن ظهور الطرق الصوفية سواء في المشرق أو المغرب العربي عملت على ظهور الزوايا والخانقات حيث كان لها دورا هاما في تاريخ البلاد الإسلامية عامة وتاريخ إفريقيا خاصة ، فكان انتشارها تعبيرا عن الحاجات الضرورية للفرد والجماعة لم توفرها المؤسسات الأخرى . والحق أن لطرق الصوفية أهمية بالغة في نشر الإسلام وذلك لأنها تمثل الجانب العملي من التصوف وهو جانب ارتبط بحياة المجتمعات الإسلامية وجماهير الناس عبر عصور التاريخ ارتباطا مباشرا .

لقد انتشرت هذه الطرق وتشعبت منذ القرن الرابع عشر ميلادي في جميع أنحاء العالم الإسلامي وكان أول من نادى بها وأسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني في بغداد ، حيث أسس الطريقة القادرية وتعتبر لدى الكثير من العارفين والباحثين بميدان التصوف أول طريقة صوفية في العالم الإسلامي والتي كانت متزامنة مع ظهور الطريقة المدينية التي أسسها الشيخ أبي مدين شعيب بمدينة

بجاية في نفس القرن وتوسعت على يد تلميذه عبد السلام وأتباعا كثيرين في مختلف الأنحاء . ثم ازدادت نشاطا على يد أبو الحسن وتركت الأثر على باقي الطرق الأخرى التي ظهرت بعد القرن الثامن التي كانت تتصل بطريقة أو بأخرى بالطريقة الام الشاذلية فقد بدأ التصوف فيه نظرا ثم تحول من القرن 10هـ وإتجه إلى الناحية العملية الصرفة وأصبح يطلق عليه تصوف الزوايا والطرق الصوفية.

**الاشكالية :** لقد احتلت الطريقة في المجتمع الجزائري مكانة هامة لا يستهان بها إذ كان لها الدور الفاعل في معظم الأحداث وكان للفكر الصوفي الطريقي تأثيرا كبيرا على الحياة الاجتماعية والثقافية وحتى السياسية فلقد بلغ عدد الطرق حوالي ثلاثين طريقة صوفية وهي لا تزال من أهم مراكز الطرق الصوفية في العالم وأكثرها انتشارا ونذكر منها الطريقة الرحمانية ، الطريقة التيجانية ، الطريقة السنوسية وكل طريقة تفرعت منها زوايا وانتشرت في المغرب العربي بعد أن تطورت في المشرق العربي تحت اسم رباطات ودخلت المغرب العربي بما فيه الجزائر في القرن الثامن الهجري والرابع عشر ميلادي بمفهوم الزوايا<sup>2</sup>.

وإذا علمنا أن الجانب الاجتماعي والتربوي كان قدرا مشتركا بين هذه الطريقة وغيرها من الطرق الصوفية الأخرى فالمحافظة على الهوية الإسلامية والجزائرية لم تكن حكرا على طريقة واحدة ، فلقد كانت معظم الطرق مركزا للإشعاع الروحي والعلمي ومنبعا للهداية وللفضيلة والأخلاق وأنها صاحبة الفضل في استمرار الأفكار الصوفية وكذا الحفاظ على الإسلام واللغة العربية لتضل بزواياها نقطة التقاء المريدين وتعلم الفقه والعلوم الدينية فزوايا الطرق الصوفية تعتبر ظاهرة من الظواهر الاجتماعية الجديدة بالاهتمام من حيث ثبوتها عبر الزمان والمكان فتأثيرها بالحياة الاجتماعية والتربوية في مجتمعنا خاصة والمجتمعات الإسلامية عامة جعل منها حقا مؤسسات ثقافية واجتماعية وسياسية .

ففي الجزائر تنتشر هذه الزوايا بشكل واسع عبر أنحاء الوطن إذ بلغ عددها حوالي 349 زاوية في القرن 19م<sup>3</sup>.

إن المتتبع لزوايا وكيفية نشأتها يلاحظ بلا شك دورها البارز في التأثير على حياة المجتمع الجزائري والدور الاجتماعي والتربوي الذي لعبته بعدما دخلت هذه الأخيرة عليه عن طريق الشرق والغرب الإسلامي وبذلك كثرت الزوايا التي بدورها بدأت تقدم خدمات اجتماعية كإيواء الفقراء والمعزة وعابري السبيل والتكفل بالطلبة من جميع النواحي المادية والمعنوية .

لقد عرفت الزاوية بأنها مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية يجتمع فيها مريدوهم لذكر الأوراد كما كانت تتخذ مأوى لطلبة القرآن والعلم وبقية الزوار الذين يقصدونها للاستفتاء والصلح بين المتخاصمين<sup>4</sup> ، وهي بذلك مؤسسة اجتماعية تربوية ودينية وحتى عسكرية حتى قيل عنها أنها أصغر من دولة وأكبر من حزب نقلا عن ما قاله الأستاذ رشيد بوسعادة أستاذ وباحث في علم الاجتماع وهو ما ثبت لكل متتبع ومهتم بالطرق الصوفية عامة وزوايا خاصة لقد أدت ولا زالت تؤدي دورا دينيا إلى جانب ذلك تمارس مهام اجتماعية وتربوية منذ نشأتها فكانت ولا زالت تؤدي دورا دينيا يندمج في

مهامها الاجتماعية والتربوية فهي لا تزال مكان لعقد الصلح كون شيوخها محل اهتمام وتقدير واحترام من المجتمع بالإضافة إلى ما تقدمه من أدوار تربوية وعلى غرار ما قدمته هذه الزوايا وما تزال تقدمه للمجتمع الجزائري كل هذا يدفعنا إلى طرح التساؤل الآتي ، ماهو الدور الذي قدمته ولا تزال تقدمه هذه الزوايا والطرق الصوفية للمجتمع الجزائري؟ .

إن أي ظاهرة اجتماعية لا يتسنى فهمها إلا في ضوء الظروف الدينية والاجتماعية والسياسية المختلفة التي أهلت لنشوء هذه الظاهرة وتطورها ، ومن هنا كان اهتمام العلماء العرب المسلمين والمشرقين بتحديد العوامل التي كانت وراء نشأة التصوف ، ولكثرة ما شاب عن التصوف من عناصر غريبة عن الإسلام منها الهندي والفارسي واليوناني والمسيحي ، فقد أدى ذلك إلى اعتقاد البعض من العرب و المشرقين أن نشأة التصوف ومصدره يرجع إلى هذه العناصر الدخيلة على الإسلام وغيرها من العوامل الخارجية بعيدة الصلة عن الإسلام .

**نشأة التصوف وانتشاره في الجزائر :** بدأ التصوف في الجزائر تصوفا نظريا ، ثم تحول ابتداء من القرن العاشر الهجري واتجه إلى الناحية العملية وأصبح يطلق عليه تصوف الزوايا والطرق الصوفية ، وقد وجد التصوف وطرقه لأول مرة في بلاد القبائل بجاية والمناطق المحيطة بها ، وكانت بجاية مركز إشعاع طريقي صوفي لعدة قرون من الزمن فلقد انطلق منها رحلات التصوف الكبار من أمثال أبو زكريا الزواوي وأبو زكريا السطيفي ويحيى العيدلي والشيخ أبي مدين الذي انتقل فيما بعد إلى تلمسان وتوفي 595 هـ ، 1197م ومنها انتقل التصوف إلى بقية المناطق الأخرى . فلقد كان الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي أحد أوائل وأوتاد الطريقة الصوفية في الجزائر وقد عرفت طريقة "المدينية" شهرة واسعة وأتباعا كثيرين في مختلف أنحاء المغرب الإسلامي وازدادت شهرته على يد تلميذه عبد السلام بن مشيش (665هـ) ثم تطورت وأحيها من بعده شيخ الطائفة الشاذلية وتلميذ ابن مشيش "أبو الحسن الشاذلي" نسبة إلى قرية شاذلية بتونس وتوفي بأرض الحجاز سنة 655هـ . وكان لتعاليم الشاذلي تأثير مهم في الجزائر بحيث يكاد يجزم أن معظم الطرق التي ظهرت بعد القرن الثامن تتصل بطريقة أو بأخرى بالطريقة الشاذلية<sup>5</sup> وقد شاع التصوف في الجزائر بفضل مدرسة عبد الرحمان الثعالبي ومحمد بن يوسف السنونسي وأحمد زروق وغيرهم من الشيوخ<sup>6</sup> . وبذلك أخذ التصوف يدخل من شرق ومن غرب الجزائر وترجع عوامل وأسباب انتشار التصوف وطرقه بالجزائر إلى عدة أسباب منها ما هو فكري وما هو سياسي وما هو اجتماعي ونلخص هذه الأسباب والعوامل فيما يلي :

**عوامل فكرية :** وجود أعلام صوفية عملوا على نشر التصوف وطرقه بكامل المغرب الإسلامي ، أثروا بسلوكهم وعملهم ومؤلفاتهم على المجتمع الجزائري وتوارثه أبا عن جد فلقد ولد لنا رجال متصوفين بارزين في الجزائر وفي المغرب وولد احترام العامة والخاصة لهم . فنجد من بينهم أحمد بن يوسف الراشدي بعين مليانة عام 937هـ / 1520م ومحمد أفغول وعبد الرحمان الثعالبي ، ومحمد التواتي البجائي ، وشعيب السنونسي والشيخ أبو مدين ويضاف إلى كل ما سبق تأثير كثير من علمائنا بالتصوف المشرقي الذي بدأ يسيطر بدوره على الساحة الفكرية بعد محاولة الإمام الغزالي التوفيق بين

7  
الشريعة والحقيقة .

. عوامل سياسية : ومن بينها سقوط الأندلس وبذلك هجرة كثيرة من صوفية الأندلس إلى الأراضي الجزائرية واحتكاكهم بالمتصوفين هناك ونشر أفكارهم في الوسط الجزائري .

الأمر الثاني هو سقوط الدولة الموحدية والتي كانت تمثل دولة قوية في وجه مواجهة الغزو الإسباني ولأسباب عدة منها الداخلية وأسباب خارجية تدهورت وضعفت .

. عوامل اجتماعية : انتشار الترف والبذخ عند عدة فئات من المجتمع وهذا نتيجة الثراء الفاحش وتراجع القيم الدينية والأخلاقية حيث أهمل الخاصة والعامة الكثير من مبادئ الدين وسلوكه القويم ، وقد حارب الصوفية هذا الانحراف مما انعكس على انتشار طرقهم .

ظهرت الزوايا في المغرب العربي منذ القرن السادس الهجري و 13م حيث حلت تدريجيا محل الرباط ثم تطورت مهامها وتوسعت على يد المرابطين وشيوخ الطرق الصوفية وجمعت بين العبادة والتعليم والتوجيه والإصلاح والجهاد في وقت واحد .

#### نشأة الزوايا بالمغرب العربي عامة والجزائر بالخصوص :

يرجع الفضل في نشأة الزوايا بالخصوص إلى حكمة شيوخها الذين أخذوا في حساباتهم البعد المكاني وهذا لتغطية المناطق المفتقرة إلى العلم والإرشاد . ففي السابق لم تعرف الزاوية كما هي عليه . ففي البادية ظهرت في المشرق العربي على شكل بيوت كانت ملحقة بالمساجد وكان يتردد عليها العباد والزها للأنزواء والخلوة فيها ثم تطورت وظهرت على شكل أبنية على أطراف المدن كمصليات صغيرة بدون محراب لإقامة الصلوات .

أما في المغرب العربي فقد عرفت الزاوية تطورا بداية من القرن 13 ميلادي حيث أنشئت الزوايا بهدف تنشيط الحركة العلمية داخل المدن وخارجها وعملت على تمسك شعوب المنطقة بدينها مما ساعد على صديها للغزاة على مر العصور فبدءوا بالبرتغاليين ثم الأسبان ومن بعدهم الفرنسيين والايطاليين وكان جل نشاطها في فترات الحرب هو تعبئة أتباعها ومريديها ضد الغزاة الأجنبية . أما في زمن الحرب فكانت تلك الزوايا الهدف منها القيام بأداء رسالتها الدينية الحضارية التعليمية والتربوية . كانت مؤسسة من طرف مشائخ كاملين ، ورجال متصوفين ، وعلماء بالله عارفين . قصدهم وجهه . عز وجل . لا يريدون من أحد جزاء ولا شكورا<sup>8</sup> .

لقد انتشرت الزوايا بالمغرب العربي بعد القرن 13 ميلادي انتشارا واسعا فهي في المدن والقرى والأرياف ، على قمم الجبال وفي أعماق الصحراء وعلى السواحل في الرباطات والمنارات حيث التجأ إليها وأقام بها أناس ندوا أنفسهم لعبادة الله كانوا فيها حريصين على أمور المسلمين واتباعوا الحديث الشريف للرسول (ص) "عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله" .

أما في الجزائر فلقد عرفت عددا هاما من الزوايا أدت دورها على أكمل وجه وأحسن صورة

وانتشرت انتشارا واضحا ، سواء في الأرياف أو في المدن ، وعمت كل جهات الوطن تقريبا خاصة الجهة الغربية والوسط . كما انتشرت في منطقة القبائل انتشارا كبيرا خصوصا بعد الاحتلال الأسباني لمدينة بجاية .

لقد سجلت الزوايا القرآنية صفحة تاريخية مهمة في الجزائر وتاريخها السياسي والثقافي والديني يث هذا على الدور العظيم الذي قدمته الزوايا في نشر الوعي الديني والثقافي في المجتمع الجزائري منذ نشأتها . فالجزائر لم تعرف الزوايا إلا بعد القرن الخامس الهجري . ومع مرور الزمن تطور أمر الزاوية وزادت أهميتها وخاصة خلال القرن العاشر الهجري بعد سقوط الأندلس وامتداد الأطماع الأوربية إلى السواحل الجزائرية .

إن أقدم زاوية تأسست في الجزائر هي زاوية الشيخ سعادة بالقرب من طولقة في القرن (06هـ) . ثم انتشرت الزوايا عبر أنحاء البلاد خاصة خلال القرنين (08هـ . 15م) والقرن (09هـ . 16م) . وكان لسقوط الأندلس والاحتلال الأسباني والفراغ الإداري واستيعاب السكان لتقبل أي حركة روحية إسلامية لكل ذلك أثر بالغ في انتشار الزوايا .

وفي القرن الثامن الهجري (08هـ 14م) انتشرت الزوايا في المغرب وأنشأت بها كتابات لتحفيظ القرآن وتعليم الدين ومبادئ العلوم . الأمر الذي أدى بملوك بني مرين إلى أن يطوروا الكتابات إلى مدارس وكليات ليساهموا في الحركة العلمية بجانب جامعة القيروان بفاس وغيرها من مدارس الزوايا في داخلها وخارجها .

لقد عرفت الزاوية في المغرب العربي بأنها مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية يجتمع فيها مريدوهم لذكر الأوراد كما كانت تتخذ مأوى لطلبة القرآن والعلم ، وبقية الزوار الذين يقصدونها للاستفتاء والإصلاح بين المتخاصمين . فلقد كانت مسجدا ومدرسة ومعهد للتعليم القرآني والديني ومأوى للطلبة يشيعون في تلك الزاوية بدون مقابل . وهي الطهر والتقوى والإصلاح ، وهي زوايا الحماية الخلقية والحصانة الإيمانية ، هي زوايا النصر ، القوة والخير المستمر<sup>10</sup> .

لقد كانت الزاوية تسمى بدار الضيوف . وقيل أيضا أنها عرفت بعد القرن (05هـ) وسميت في بادئ الأمر بدار الكرامة كالتي بناها الملك يعقوب المنصور الموحدي في مراكش<sup>11</sup> ، بالإضافة إلى هذا فالزوايا كانت عبارة عن مكان يجد فيه المسلمون (المريدون) الفكرة الدينية التي من خصائصها الجهاد الدائم ضد الكفار (الفرنسيين) ونذكر من بينهم السنوسية في ليبيا ضد الايطاليين ، المهديية في السودان ضد الإنجليز ، والتيجانية ضد الفرنسيين ، والإنجليز في إفريقيا السوداء وفي الجزائر كانت القادرية تحت قيادة الأمير عبد القادر والرحمانية تحت قيادة الشيخ الحداد وأولاد سيدي الشيخ في الجنوب الوهراني وغيرها<sup>12</sup> .

إن الزوايا في الأرياف يعود تأسيسها إلى أتباع المرابطين ولقد أدت الزاوية في الريف دورا أكثر إيجابية منها في المدينة فكانت رباطات ونقاط أساسية ضد الأعداء فكان المرابطون يقودون أتباعهم في

الحروب الجهادية وينصرون المجاهدين ويطعمونهم في زواياهم ويتحالفون مع المكافحين من أجل الدين وحماية البلاد .

### أنواع الزوايا في المجتمع الجزائري :

لمعرفة أنواع الزوايا اتبع الباحثون والكتاب عدة مؤشرات وذلك حسب الانتساب الذي تنتمي إليه هذه الزوايا وكذلك المكان أو الموقع الذي تقع فيه وكذلك حسب الأدوار والوظائف التي تقوم بها .

#### أولا : أنواع الزوايا من حيث الانتساب :

من حيث الانتساب فالزوايا تنقسم إلى :

**زوايا المرابطين :** فهي للطلبة ونشر العلم واستقبال الغرباء والبؤساء والمحرومين الذين يبحثون عن ملجأ أو هي مكان للزوار الذين يأتون لتتلقى الصدقات والصدقات . كما أن زوايا هذا النوع ليس لها طريقة صوفية تتبعها ومريدين تابعين . فالمرابطون فيها يعملون دون مقابل على الرغم من فقرهم واحتياجهم<sup>13</sup> .

**زوايا الطرق الصوفية :** وهي قد تكون زاوية الطريقة الأم أو فرع تابع لها وهي ملكية خاصة ونظامها يشبه النظام الملكي الوراثي ، حيث يكون الشيخ هو المشرف والمسؤول المباشر في كل شيء والطريقة لها مريدون وأتباع هم الذين يقومون بتمويل الزاوية . أما في حالة وفاة الشيخ فالخلافة تكون عن طريق الوصاية التي يتركها الشيخ أو تختارها عائلة الشيخ وفق شروط خاصة .

**الزوايا المنسوبة :** وهي زوايا منسوبة إلى شخص ميت تقده العامة وتحبي ذكراه وهو مدفون بالزاوية وتنسب إليه وفي هذه الحالة تأتي العامة إلى هذه الزاوية زائرة وطالبة للبركة لا للعلم والإحسان أي زيارة الأضرحة<sup>14</sup> .

#### ثانيا : أنواع الزوايا من حيث الموقع :

هناك من العلماء من يفرق بين نوعين من الزوايا وهي زوايا الأرياف وزوايا المدن .

**زوايا الأرياف :** تكون مبنية حول قبر المرابط غير معروف كثيرا . ويوجد القبر في مكان تقطنه إحدى القبائل وفي هذا المكان أحفاد المرابط . وهذا المجتمع يطلق عليه زاوية وتكون لهذه الزاوية أوقاف كبيرة من أراضي وبساتين تطعم منها الفقراء والضيوف وحق الزاوية هو العشر (العشور) ومن العادة أن القائم على الزاوية هو حفيد المرابط ومن احتفى بها فهو أمن ومن مهامها التعليم ولا يقوم المرابطون ولا أحفادهم بالأعمال اليدوية لأنهم مختصون في التعليم وتربية الأطفال .

**زوايا المدن :** فالزاوية عبارة عن بناية كبيرة لإيواء المشردين والطلبة والعلماء الغرباء ، وتتوفر فيها الإضاءة والماء وقد تصبح الزاوية مدرسة عليا إذ تخصص لها ويلحق بها مدرس شهير لتدريس<sup>15</sup> العلوم العالية وتحمل الزاوية اسم مؤسسها أو الحي الموجودة فيه . وأحيانا اسم مرابط التابعة له .

### ثالثا : أنواع الزوايا من حيث الدور الذي تقدمه :

. **زوايا العلم** : وهي من الزوايا التي أسست لممارسة النشاط التعليمي مثل الاعتناء بتحفيظ القرآن وتعليم الطلبة ما يلزمهم من العلوم اللغوية والشرعية والتاريخية والفلسفية ونشر القيم والفضائل الإسلامية . ومن هنا فالتعليم بهذه الزوايا وإن كان بسيطا مقصورا على الدين والأخلاق واللغة العربية فإن له أهمية كبيرة في تكوين شخصية الفرد المسلم . فالتربية هي أرضية التعليم والسلوك القويم لأهل طرق التربية والتعليم لذلك حرص شيوخ هذا النوع من الزوايا كل الحرص على التعليم بسلوكهم أكثر من التعليم بأقوالهم كما عملت أيضا على إزالة الفوارق الاجتماعية بين الفئات الاجتماعية المختلفة . وكانت أيضا بمثابة مخازن ودواوين للكتب والمخطوطات في مختلف العلوم ، الفنون وذلك بفضل اهتمام شيوخها وأتباعها بالنسخ والنقل والتأليف والجمع ونشر الدين الإسلامي في الأماكن التي يصلون إليها خاصة الأقاليم الصحراوية النائية<sup>16</sup>

. **زوايا السحر** : وتتمثل في بعض الزوايا التي أدت الدور السلبي الذي يبدو جليا في تلك الأعمال التي تجري في معظمها من الرقص وما يتبعه من التصفيق وضرب الدفوف واللعب بالنار والبدع التي أحدثتها ومازالت تحدثها في الدين وهذا الجانب هو الجانب المغيب فيها . هذا النوع من الزوايا هو الذي جلب إلى الزوايا الصالحة الأذى والتجني عليها فأصبح في ذهن الكثير من عموم الشعب أن لفظة زاوية تعني مزيجا من الرهبانية ومن فلكلور مكن الأجهزة والشخصيات ومن سحر وشعوذة لا طائل من ورائها سوى شد الإنسان إلى الورا . ومن الأمور السلبية أيضا احترام الخلافات والخصومات بين بعض شيوخ هذه الزوايا وفي الزاوية نفسها حول بعض القضايا الهامشية وفي بعض الأحيان في أعراض شخصية حول النفوذ والمكانة الاجتماعية وامتداد هذا الخلاف إلى الأتباع والمريدين ، بالإضافة إلى استسلام وتواطؤ بعض شيوخ الزوايا .

### أنواع الزوايا في الجزائر :

إن تعدد الزوايا بالجزائر سمح بوجود أنظمة مختلفة أدت إلى وجود ثلاثة أنواع من الزوايا وهي :  
زوايا المشايخ . زوايا المرابطين . زوايا الطلبة .

. **النوع الأول : زوايا المشايخ** : وهذا النوع من الزوايا يعتبر ملكية خاصة لشيخ ويتصرف فيها كما يشاء وبعضهم يعيش هو وعائلته من موارد الزاوية ونظامها يشبه النظام الملكي الوراثي . وصاحب هذه الزاوية يكون عادة صاحب طريقة ، ويعرف عندنا بشيخ الطريقة الذي يعطي الأوراد أي الميثاق ، وهذا الشيخ له أتباع ومريدون ويسمون الإخوان ، والزاوية تقوم على أكتاف هؤلاء المريدون والمحسنين الذين هم يمولون الزاوية ويجمعون لها الزكاة والصدقات والتبرعات من الشعب ، ويقدمونها للشيخ والشيخ هو المشرف والمسؤول المباشر على زاويته . وهو صاحب الحل والعقد ، فلا حق لأي إنسان أن يتدخل في شؤون الزاوية من قريب أو من بعيد . فالأموال التي تدخل إلى الزاوية تذهب إلى الشيخ مباشرة يتصرف فيها بمعرفته فلا أحد يحاسبه عليها أو يراقبه ، وهو الذي ينفق على

الزاوية ويوفر للطلبة كل حاجاتهم اللازمة ، كما يدفع أجر الشيخ (أي المعلم) وهو صاحب الزاوية هو الذي يعين المعلم أو يعزله حين يشاء وكذلك يعين المواد التي تدرس للطلبة . وكل شيء يخضع للتقليد الزاوية فإذا مات الشيخ استخلف بأحد أفراد عائلته أخاه أو ابنه . . إما عن طريق الوصاية أو تختاره العائلة وترشحه لمنصب الطريقة ويخلف الشيخ الراحل ، وذلك حسب تقاليد الأسرة وعلى سبيل المثال نجد من زوايا المشايخ في الجزائر زاوية علي بن عمر بطولقة ، زاوية الهامل القاسمية ببوسعادة وزاوية الحملاوي بقسنطينة وزاوية الشيخ بلكبير بأدرار .

. النوع الثاني : زوايا المرابطين : فهي ملكية جماعية ، فمواردها محبسة عن طلبات العلم فالمرابطون أحفاد المؤسس الأول للزاوية لا حق لهم أن يأخذوا شيئاً من الأموال من زاوية جدهم والزكاة والصدقات والتبرعات والنذر والهبات سواء كانت نقود أو حيوانات هي للزاوية وحق للطلبة العلم والفقراء الذين يقصدون الزاوية ، كما أن زوايا المرابطين ليس لها طريقة صوفية ولا مريدون كزوايا المشايخ .

. النوع الثالث : زوايا الطلبة : وهذا النموذج الوحيد من زوايا نجد في زاوية سيدي عبد الرحمان البيلوي التي تقع في عرش إبلولة دائرة عزازقة ولاية تيزي وزو . وأسست عام 1635 ، إن هذه الزاوية تختلف عما سبقها فطلبتها يتمتعون بالاستقلال التام في تسيير شؤون مؤسستهم فلا يتدخل أحد فيها . والطلبة وحدهم هم المسؤولون عن الزاوية وتدير شؤونها داخلياً وخارجياً ، علمياً واقتصادياً والزاوية بهذا الشكل تكون بعيدة عن أي نوع من الضغوطات أو التدخلات ، فهي تسيير من طرف طلبتها ولا تخضع لشيخ أو مرابط بل وحتى للشيخ الذي يعلم فيها . فالشيء الوحيد الذي يخضع له الجميع ويمثلون له ولا يخالفونه إنما هو القانون أي قانون الزاوية أو ما يمكن أن يطلق عليه باسم اللائحة الداخلية للزاوية .

كما تنقسم الزوايا حسب التسمية إلى ثلاثة أنواع: <sup>20</sup>

. زاوية تنسب إلى شخص ميت تقدره الناحية عادة ما يكون شيخ طريقة .

. زاوية تنسب إلى الطريقة الصوفية .

. زاوية تنسب إلى مكان وجودها وهي ما تعرف بالزوايا المطلقة .

دور الزوايا و الطرق الصوفية في الجزائر :

1 . دور الزوايا أثناء الاستعمار الفرنسي للجزائر : كانت الزوايا إحدى أهم النقاط التي انشغل بها الاستعمار الفرنسي نتيجة الدور الوطني الذي كانت هذه المؤسسات تلعبه قبل وخلال الثورة التحريرية . فعلاوة على كونها تلقن تعاليم الدين الإسلامي فإن أئمتها أنذاك كانوا حلقة مهمة في ثورتهم ضد المستعمر وذلك بإعداد الطلبة لخدمة القضية الوطنية حيث التحق العديد من طلبة الزوايا بصفوف الثوار وأمّام هذا الدور الكبير للزوايا لم يتردد الاستعمار في تدمير أغلبيتها وغلق عدد آخر منها وتحويل عدد آخر إلى ثكنات عسكرية تابعة للجيش الفرنسي كما ذاق لمشايخ الزوايا أقسى أنواع

التعذيب ووصول الأمر إلى إعدام بعضهم ورغم ذلك لم يستطع الحد من نشاطها مما جعل الأبواب مغلقة في وجهه والطرق مسدودة أمامه ولم يجد منفذ يتسرب منه إلى داخل الأمة المعتصمة بالقرآن والتمسكة بالإسلام وفكر مرة أخرى كعادته في ضرب زاوية القرآن والثقافة الإسلامية وعمل على طمسها وتشويه سمعتها ، ثم القضاء عليها بطرق الخيل والدس والمكر والخداع فاستولى أولاً على أموال الأوقاف والأجاس وقطع عنها كل موارد الرزق وجميع المساعدات ضنا منه أنه بهذه الطريقة سيقضي عليها ، ومن جهة أخرى استعمل أساليب الترغيب لكسب ودها والتحكم فيها فأصدر مرسوم في 12 يونيو 1906م يقضي بصرف منحة تشجيعية شهرية قدرها 300 فرنك قديم لكل شيخ زاوية أو كتاب يأمر طلابه بتخصيص ساعتين لتعليم اللغة الفرنسية . ورغم الظروف الصعبة لم يتقدم أي شخص للاستفادة وبالتالي ولد المرسوم ميت .

بلا شك ولأنه أدرك مدى خطورة هذه المؤسسات ومدى أهميتها في حالة استغلالها أمرت السلطات الفرنسية بجمع كل المعلومات عن المدارس القرآنية التي تثبت مذاهب دينية ومواقف سياسية وعن المشايخ الذين يتولون التدريس فيها ومعرفة أصولهم ومواردهم ومدى نفوذهم وعلاقتهم بمشايخهم وانتشارهم الجغرافي ، ورغم ذلك فإن معظم الثورات والانتفاضات الشعبية كانت تنطلق من هذه الزوايا في ذلك الوقت . فعمد بطريقة أخرى إلى تشويه وتزييف الحقائق وأراد أن يشجع ذوي النفوس الخبيثة والضمائر الميتة والعقول المريضة على إنشاء أوكار الفساد في القرى والمدن يسمونها زوايا البندير والزراي ، زوايا المناكر والضلالة لتسهل على بث الصراعات والانشقاقات<sup>21</sup> .

لقد كان أهم ما قامت به الزوايا هو المحافظة على القرآن الكريم وتحفيظه وحفظه في صدور أبناء المسلمين كتابة ورسمًا وتلاوة وتجويدا ، حتى لا تمتد إليه يد التحريف والتغيير ويتلى في الصباح والمساء في المساجد والبيوت فردا وجماعة .

الزوايا أثناء الاستعمار الفرنسي لعبت دورا بارزا فقد كانت المصدر الرئيسي الذي مون الثورة بالمجاهدين فبعض الزوايا التحق حل أعضائها بالجهاد بحيث كانت مركزا استراتيجيا . فالزوايا على اختلاف طرقها من الرحمانية إلى التيجانية إلى القادرية كلها كانت تصب في وعاء واحد وهو الحفاظ على مقومات الأمة الجزائرية عكس ما كان يعتبره بعض المؤرخين وعلى رأسهم لويس رين الذي كان يرى أن حركة الإخوان بأنها حرب دينية مبنية على التعصب الديني والعرقى وكان يقصد بذلك حركة الإخوان الرحمانيين آنذاك ونشاطهم بكثرة وامتداد ثورتهم إلى كل المناطق تقريبا والقبائل الشمالية من الجزائر العاصمة إلى القل و جيحل و باتنة ، وحصار مراكز الفرنسيين وقلاعهم في بجاية ودلس وتيزي وزو في 1865م الأمر الذي أصبح يمثل خطرا كبيرا على فرنسا<sup>22</sup> حين أدركت أن ما يقوم به الإخوان الرحمانيين الذين استطاعوا خلال مدة زمنية قصيرة تكوين جيش يمثل أكثر من 120 ألف مجاهد ينتمون إلى 250 قبيلة تتألف من 600 ألف نسمة . ليس الشعوذة أو التعصب الديني أو العرقى وإعلان شيوخ الزوايا وأتباعهم للجهاد وإقدامهم المعركة لا يمثل حدثا دينيا فقط وإنما يتجاوز ذلك إلى

غرض سياسي يستهدف خدمة مصالح الشعب المادية والمعنوية .

لقد كان وراء هذه الثورات شبكة تابعة للزوايا التي ينتشر أتباعها وخلاياها في أصقاع البلاد مما أملى على السلطات الفرنسية آنذاك ضرورة دراسة هذه الخلايا من الزوايا ولفهم هذا الواقع قام العديد من الباحثين بدراسة واقع الشعب الجزائري لمعرفة أسباب ودوافع هاته المقاومات وهذا التحدي .  
وأول دراسة قام بها في الميدان هو دونوفو حيث ألف كتابه بعنوان (الإخوان . الطرق الدينية عند مسلمين الجزائر عام 1845م) وقد أظهر عدة نتائج توضح خطر هاته المراكز الدينية والطرق الصوفية .

لقد لقيت الزوايا دراسة مستقيضة من المستعمر قصد محاربتها ومحو آثارها في كل الجوانب الفكرية والسياسية والجهادية . ومحاولة القضاء على دورها الاجتماعي والتربوي واحتوائها إلا أن هذه السياسة لم تنجح بشكل عام وعرف المجتمع الجزائري أن مصيره مرتبط بمصير هاته الزوايا فهي ذات قداسة روحية بالنسبة له وأن نجاحه لا يتم إلا إذا أولى هذه المؤسسات مكانتها اللائقة ومكنها من أداء دورها بأكمل وجه لأنها الصخرة التي تنكسر عليها دسائس ومناكر المستعمر . ولما فهم شيوخ الزوايا نوايا المستعمر ومكائده قاموا بمواجهتها بعدة أشكال ومن أهمها لم شملهم وارتباطهم ببعض البعض عن طريق إنشاء هيئات وجمعيات لرص صفوفهم ونبذ الفرقة بينهم ومنها جمعية علماء السنة والتي تأسست في 13 سبتمبر 1932م بحضور ألف شخص<sup>23</sup> ، من مختلف الطرق الرحمانية والقادرية والتيجانية والعلاوية والشاذلية وقد أعطيت الرئاسة إلى الشيخ المولود الحافظ الأزهري وحاول هذا الأخير لاحتواء الخلاف القائم آنذاك بين شيوخ الزوايا وجمعية العلماء المسلمين حول وجهة النظر في طريقة عمل الدعوى . بالإضافة إلى ذلك تم تأسيس جامعة الزوايا لشمال إفريقيا والذي انعقد في 15 مارس 1948م بالعاصمة الجزائرية وقد حضره أكثر من 120 رئيس زاوية<sup>24</sup> من الجزائر وبعض دول الجوار المغرب وتونس وكذلك الجمعية الصوفية التي تأسست سنة 1945م بغليزان وكان العقيد عميروش عضو فيها وهناك الكثير والكثير من الجمعيات وكان الهدف الرئيسي كما ذكرنا سابقا لم الشمل ومحاولة القضاء على انشقاقات داخل المجتمع الجزائري وإعادة الاعتبار لزوايا كمؤسسات اجتماعية تربوية داخل المجتمع الجزائري وهذا ما لم يتقبله المستعمر الذي جند كل الوسائل المملوكة لديه وخصوصا بعض الباحثين الذين أرادوا أن يحاربوا هذه المؤسسات بالقلم إضافة للوسائل السابقة الذكر ومنهم الباحثان أوكتان وديون اللذين صرحا في كتابهم =الزوايا الدينية الإسلامية في الجزائر" أن المشكل الذي يشكل لنا خطورة وأيضا هو لمصلحة الشعب والتي يجب أن نسيطر عليها ونجعلها تحت تصرفنا . وتقضي عليها هي الزوايا الدينية . . والطرق الممكنة للقضاء عليها هي محاربة الزوايا الدينية مباشرة أو اضهاد رئيسا أو يجب إتباع طرق سلمية لكسب ثقتهم وبالتالي جلبهم إلى صفنا .

ولقد وضع الكاتب الطرق التي رآها جيدة للسيطرة على الزوايا لنخصها فيما يلي : علينا أن نعطيهم أحيانا السلطة لكن يجب معاملتهم بحذر دائما وباهتمام قصد كسبهم كأصدقاء ولتحقيق

هذا نطبق عليهم الوصية التالية : الموافقة على اختيار المقدمين لشيوخهم في الزوايا التي تخضع للانتخاب وللدركة المتوارثة . تأثير الشهادات الممنوحة من طرف الشيوخ لمقدميهم وبهذا يكون لنا ممثلين لحكومتنا . ويجب أن نسرع في الواقع بتحقيق رغبة الجماهير في الصلاة وكل الممارسات الدينية<sup>25</sup> بالإضافة إلى ما سبق فقد صادرت الإدارة الفرنسية كل أملاك الأوقاف والحبوس التي تمون الزوايا كالأراضي الزراعية والمتاجر وغيرها ومنعت تدريس أبواب الجهاد في الفقه الإسلامي وتاريخ الجزائر الوطني وجغرافيتها .<sup>26</sup>

فعلى الرغم بما فعله الاحتلال الفرنسي لزوايا والانحرافات التي عرفتها بعض الزوايا في ميدان العقيدة كانتشار الشعوذة والخرافات والبدع إلا أنها استطاعت أن تواصل نشاطها الثقافي والديني كسد منيعا أمام الاحتلال الفرنسي<sup>27</sup> . وباعتراف من الفرنسيين أنفسهم فلقد اكتشفوا أن وجود الزاوية كمركز أساسي يأوى المقاومة ولاسيما المقاومة الثقافية لأن المقاومة المسلحة ذات طبيعة سياسية ثم إنها مؤقتة . أما المقاومة النفسية فدائمة بل هي حرب نفسية حقيقية ابتكرتها الزوايا وهكذا رفضت الزوايا كل ما هو أجنبي وحافظت على العادات والتقاليد الجزائرية بحيث يقول محمد نسيب في هذا الشأن : "أن طالب الزاوية كان يتمسك بدينه ، ويتعلق بشخصيته ويعتز بثقافته العربية الإسلامية في الوقت الذي كان الناس فيها يتهافتون فيه على اللغة الفرنسية لغة الخبز المغموس في دماء الضحايا المذبوحين" .

إن ما قامت به الزوايا من أدوار اجتماعية وتربوية في أيام الاستعمار الفاسية ولياليه الحالكة وما قامت به من أعمال البر والإحسان والتربية والتعليم مما أغلق الأبواب في وجه المبشرين الذين يترصدون الفرص للوصول إلى أغراضهم باسم التعليم والتطبيب والإحسان ، ولكن الزوايا أنقذت الفقراء والاحتاجين والأميين من أبناء المسلمين من اللجوء إلى مراكز المبشرين وأطمعت الجائعين وأوت العجزة وعلمت الأميين وجعلت التعليم مجانا لكل الناس للصغار والكبار للفقراء والأغنياء لا فرق بين ذا وذاك ونمت روح الحبة والتعاون بين أبناء الأمة<sup>28</sup> . وقد لعب الشعب الجزائري دورا كبيرا في تمويل الزوايا وإكرام رجالها والاتفاق على مشاريعها الدينية والثقافية والاجتماعية كأسلوب من أساليب المقاومة للاستعمار الفرنسي للجزائر .

أما عن دور الزوايا أثناء الثورة التحريرية : فما نتج عن الثورات المناهضة للاستعمار الفرنسي ابتداء من ثورة الأمير عبد القادر بن الشيخ محي الدين شيخ زاوية القيظنة بمعسكر وانتفاضة 1850م بزعامة الشيخ بوبغلة وثورة الشيخ بوعمامة عام 1881م وما سبقه من الثورات الشعبية كلها مهد الطريق لانطلاق ثورة التحرير في الفاتح نوفمبر 1954م<sup>29</sup> . ونتيجة لذلك توقفت الزوايا نوعا ما عن أداء رسالتها التعليمية بسبب انخراط العلماء والطلبة والتحاق العديد منهم في صفوف الثورة المسلحة والتوجه للمعركة الفاصلة للقضاء على المستعمر لنيل الاستقلال . فكان لزوايا رجالا فحروا الثورة المباركة وكان منهم قادة وجنود ومنهم الشهيد مصطفى بن بولعيد كان ابن زاوية وغيره .

لقد كانت الزوايا بمثابة مراكز إسناد للثورة التحريرية تمدّها بالرجال والسلاح والمال و أنقذت الزوايا الفقراء والمحتاجين من أبناء الأمة ومنعتهم للارتقاء في أحضان المبشرين الذين أرادوا استغلال وضعهم الاجتماعي المزري وقامت بإطعامهم ، وعلمت الأميين وجعلت التعليم مجانا لكل الناس للصغار والكبار ، للفقراء والأغنياء لا فرق بين ذا وذلك ونمت روح المحبة والتعاون بين أبناء الأمة وحافظت على القرآن الكريم واللغة العربية والتربية الإسلامية ، وحصنت النفس على التمسك بالدين الحنيف<sup>30</sup>.

**2. دور الزوايا والحفاظ على الشخصية الوطنية :** تعتبر الزوايا أثناء فترة الاستعمار الفرنسي هي المؤسسات الواحدة أو الغالبة التي كانت تتولى التعليم . فلقد استطاعت هذه المدارس الشعبية والمعاهد الإسلامية البسيطة المتواضعة أن تحافظ على ثقافتنا العربية الإسلامية . فقد استطاعت بأسلوبها البسيط والسهل من خلال الدور الذي قامت به ان تقوم بتنمية الشعور بالوحدة لدى الجزائريين وتوحيد وسيلة الاتصال بينهم ولأن التعليم كان باللغة العربية ومنهجه القوي في روحه الغني في محتواه السليم في جوهره أن ينجح لأنه لم يفقد فاعليته . ولم تبرد حرارته . وإذا كان تعليم الزوايا والمساجد والكتاتيب القرآنية والمدارس الحرة تعليما بسيطا متواضعا لا يتماشى مع روح العصر في أسلوبه ومناهجه فإنه حافظ على روح الأمة وصان شخصيتها وحمى عقيدتها ورفع معنوياتها بذلك جعلها تعتصم بدينها وتعتر بقيمها وعاداتها وتقاليدها وتتعلق بلغتها وإن كانت محاربة ومحرومة من جميع الوسائل ومعزولة عن كل ميدان من ميادين الحياة .

رغم ذلك لا تقبل البديل مهما كان البديل لأنها ترى نفسها سعيدة بدينها فخورة بانتمائها الثقافي والقومي والوطني وتحب كل ما هو إسلامي وتمتت كل ما هو أجنبي دخيل<sup>31</sup> . ولكن كانت تلك المؤسسات بمثابة حصون وقلاع للدراسة والدفاع ودفعت عن القيم والأخلاق الإسلامية وحافظت لاسيما في وطننا الغالي الحبيب الوطن الجزائر على مقومات الهوية الوطنية وصانته عناصر الشخصية العربية الإسلامية<sup>32</sup> . فبالرغم ما قام به لقد حاول الاستعمار الفرنسي أن يقضي على الشخصية الوطنية بكل أساليبه القدر .

لقد قام شيوخ الزوايا بلم صفوفهم لمواجهة هذا الاستعمار الهامجي وذلك بإنشاء جمعيات وهذا لتوحيد وسيلة الاتصال بينهم ، فقد أنشأ جمعية جامعة مشايخ الطرق الصوفية سنة 1938م والتي كان هدفها نشر العلم ومعرفة وترسيخ القيم والأخلاق الإسلامية واللغة العربية .

لقد أحرق الجنرال دوف دومال وجنوده مكتبة الأمير عبد القادر الذي كان يتتبع أثر الطابور الفرنسي مسترشدا بالأوراق المبعثرة في الصحراء التي انتزعها الجنود من المكتب التي عانى الأمير الكثير في جمعها .

وكما نعلم أن الأمير عبد القادر ابن زاوية ولم تكن السلطات الاستعمارية عند هذا الحد ومحو الشخصية الوطنية فقد بقيت معتمدة على التقتيل والتعذيب والتجهيل ومصادرة أموال الزوايا

وإفقار الأهالي وحرق الأرض ، سن القوانين الجائرة في حق الجزائريين<sup>36</sup> . فلقد اقتصرت الفترة الأولى من 1830م إلى 1880م على العمليات الحربية التي نظمها الجيش الفرنسي ضد الشعب الجزائري ومقاوماته تحت قيادة الأمير عبد القادر في العشرة الأولى والثانية ولم تفكر السلطة الفرنسية إلا في تأسيس سياسة عنونها تارة "بسياسة الاندماج" و "المكاتب العربية" والتجسس وتارة بسياسة "المملكة العربية" ثم سياسة اندماجية أخرى ثم قانون خاص بأهل البلاد أي "قانون الإندجينا" التعسفي 1881م . وفي هذا النطاق قررت لتغالط الناس أنها لا ترى مانعا في تدريس اللغة العربية في المدارس الابتدائية المسماة "العربية الفرنسية" وفي المدارس الحكومية الثلاث على مستوى التعليم الثانوي فلم يعمل كما كان متوقعا . بهذا القرار الذي اتخذته السلطة الفرنسية وقت "المملكة العربية" في عهد نابليون الثالث (1808م . 1873) وبقي فعلا عبارة عن حبر على ورق ثم أتى عهد "الجمهورية الفرنسية الثالثة" التي كانت هي من جهتها تعلن إدماج أبنائها في النظم التعليمية والتربوية والسياسية المخصصة لأبنائها الفرنسيين باسم الإدماج السياسي والاستعمار المسلط على الشعب الجزائري<sup>37</sup> قصد محو كل مقاومته الشخصية وطمس معالم المجتمع الجزائري العربي المسلم . فلهذا نرى أن نظرة من يهتمون المؤسسات الدينية بالجمود والانغلاق كانت سطحية وتفكيرهم كان قاصرا فلو تعمقوا وحلّلوا لعرفوا الحقيقة فحن لا نسّميه رفضا ورد الفعل . فلولا هذا الانغلاق لما احتفظت الجزائر بإسلامها وعروبها قرنا و32 سنة من الاحتلال الفرنسي البغيض ، إذ لا نسّميه هذا انغلاقا بل نسّميه رفضا وتحديا واحتضانا للعقيدة الإسلامية وما تحمل هذه العقيدة من قيم وأخلاق وإرادة وأمل وتحّد .

إن هؤلاء الراضين من علماء الأمة وعقلائها وضعوا حد لأطماع الغزاة . فتجارب التاريخ تقر بأصالة الدين في جميع حركات التاريخ الكبرى أنه لم يكن قط لعامل من عوامل الحركات الإنسانية أثر أقوى وأعظم من عوامل الدين وكل ما عداه من العوامل المؤثرة في حركات الأمم إنما تنفوت فيه القوة بمقدار ما بينه وبين العقيدة الدينية<sup>38</sup> .

بعد الاستقلال فقد انحصر دور الزوايا في تعليم القرآن الكريم لطلبة المدارس الرسمية في أوقات خاصة والقيام بدور التثقيف الشعبي إلى أن أوكل أمرها إلى وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية فاستعادت بريقها وغدت موردا مهما لتزويد المعاهد الدينية التي تعتمد عليها الوزارة في إعداد الأئمة والمعلمين لتدريس وتحفيظ القرآن .

**3. دور الزوايا ومناهجها في التعليم :** لقد حاول الاستعمار الفرنسي أن يمنع اللغة العربية لأنها وعاء الدين ووسيلة لفهم الإسلام . وحاول أن يعوضها بلغة المستعمر لتحويل أبناء الشعب الجزائري إلى فرنسيين وتمسيحهم وتغريبهم تمهيدا لإدماجهم . لكن التعليم الديني وعلى رأسه الزوايا كغيرها من المؤسسات الشعبية كالمساجد والكتاتيب القرآنية وقفت له بالمرصاد .

لقد كانت الزوايا في الجزائر في معظمها يمثل مراكز إشعاع ديني يقوم على أساس تعليم القرآن وتحفيظه هذا الدور التعليمي الإيجابي الذي كانت تقوم به الزاوية كان يشكل في الوقت نفسه خطرا

بالنسبة للجهات الفرنسية التي كانت تنظر إلى شيوخ الزوايا ومدرسيها بأنهم مترمّتين ومتعصبين . حيث كانوا يغرسون في أذهان الطلبة والتلاميذ فكرة مقاومة العدو ومحاربه في الوقت الذي كانت فيه السلطات الفرنسية تحاول إخضاع الزوايا لها<sup>39</sup> .

إن تعليم الزوايا على العموم حورب وحوصر بالمدرسة الفرنسية منذ الاحتلال حاول الفرنسيون جر الجزائريين إلى إدخال أبنائهم في مدارس فرنسية في المدن أولا . وفي المرحلة الثانية أنشأوا ثلاث مدارس إقليمية لتمتص التلاميذ الذين كانوا من قبل يتوجهون إلى الزوايا الريفية وإلى المرابطين للتعلم أو يقصدون المعاهد الإسلامية خارج الجزائر . أما خلال المرحلة الثالثة فإن الفرنسيين قد أنشأوا المدرسة الابتدائية الفرنسية بجوار الزوايا وضيقوا على هذه الزوايا مجال النشاط . وفتحوا مع قادتها باب التدجين والتوظيف وهكذا حوربت الزوايا على عدة جهات<sup>40</sup> لذلك يظهر أنه من الصعب أن يحدد الجهود الذي قامت به هذه الزوايا في سبيل تحفيظ القرآن الكريم ونشر الثقافة العربية الإسلامية في ظروف كان يهيمن عليها الاستبداد إضافة إلى معارضة المعمرين الذين صرحوا بما في عدة مناسبات "فلولا هذه المراكز لأصبح الأطفال الجزائريين كلهم معرضين للجهل والامية" هذا ما أعلنت عنه اللجنة المكلفة سنة 1891 من طرف المجلس الوطني الفرنسي بتحقيق حول التعليم في بلادنا . فقالت بأن هذا التعليم كان في زوايا مسيرة من طرف أهل البلاد يعلم فيها تحفيظ وتفسير القرآن وقواعد اللغة العربية ولم تجد مؤسسات أخرى لتعليم أبنائهم<sup>41</sup> .

إن أهم أعمال الزوايا في أوقات السلم هو التربية والتعليم إلى جانب القيام ببعض الأعمال الخيرية كإطعام المساكين وإيواء ابن السبيل . والذي يهمننا حاليا هي البرامج والطرق المطبقة في التعليم والتدريس المتبعة في هاته الزوايا . ليس للزوايا في مرحلة الدراسة مناهج منظمة من ناحية الكتب والامتحانات وتوزيع الطلاب على سنوات الدراسة حسب أعمارهم ومستواهم العلمي ، والتفتيش والنظم التعليمية وإنما كان التعليم يسير فيها بطريقة تقليدية بحيث كان الطلبة يتابعون الدراسة لعدد من السنين قد تقصر أو تطول . يدرسون كتاب أوكتابين في الفقه المالكي . وغالبا ما يكون شرح الدرديد ، وسيدي خليل (بأجزائه الأربعة) يكررونها عدة مرات في عدد من السنوات إضافة إلى كتاب أو كتابين في البلاغة بعد حفظ القرآن الكريم كله حفظا جيدا<sup>42</sup> .

وبما أن منهاج الإسلام في الأخلاق هو كتاب الله الذي يحفظ ويتلى وتبذل الجهود . وإن كانت محدودة . لفهم آياته وخاصة ما ينطق منها بالعقيدة والدين والأخلاق . فإن الزوايا أخذت بهذا المنهج كأرضية يقوم عليها التعليم ، وإن كان هذا التعليم يقتصر على الدين واللغة العربية والتربية الروحية والخلقية فإنه القاعدة التي ترسى عليها حياة الفرد والمجتمع في هذه الزوايا<sup>43</sup> .

إن حالة الزوايا في التعليم هي حالة معاهد التعليم العربي ، فإننا نجد أن التعليم فيها لم يزل على الأسلوب القديم من الابتداء بحفظ القرآن الكريم وشتى المتون والانتقال بعد ذلك إلى دراسة الفقه والنحو والصرف إلى آخره لذلك فإن مناهج هذا النوع من التعليم بقيت على حالها منذ قرون دون أن

يدخل عليها تغيير يذكر . ويستثنى من ذلك التعليم الذي كان يقوم به بعض الزوايا وهي قليلة مثل زاوية الشيخ علي بن عمر بطولقة وزاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي بمنطقة جرجرة وزاوية الهامل بالقرب من مدينة بوسعادة . فقد كانت هاته الزوايا على الشكل من التنظيم في برامجها الدراسية.

**أما طرق التدريس :** إن أهم الطرق التعليمية أو التدريس السائدة في الزوايا تعتمد على طريقة الحفظ والتلقين أو طريقة المادة التي تعتمد على الإلقاء والإملاء من جانب المعلمين والاستماع والحفظ من جانب المتعلمين وهي الطريقة التي يكون فيها موقف المتعلمين سلبيًا في معظم الأحيان<sup>44</sup> . فالمعلم هو الذي يعد الدرس وهو الذي يشرح وهو الذي يحلل ما يحتاج إليه من التحليل والمتعلمون عليهم أن يتقبلوا ما يقوله المعلم بالقبول والتسليم في معظم الأحيان والطلبة يجلسون في حلقات داخل الجامع (مسجد الزاوية) . (مسجد الطلبة) حول الشيخ كما كان العمل جاريا به في الأزهر الشريف وقبل تحويله إلى جامعة حديثة فكانت يستمعون الدرس المقرر عليهم ولازالت نفس الطريقة في التدريس متبعة في الزاوية وبنفس الكيفية التي كانت عليها في الماضي . وعلى كل طالب يصل إلى درجة معينة من العلم يجازى ويتولى تدريس وتعليم من هم أقل منه مستوى<sup>45</sup> . كما أن مشايخ الزوايا هم الذين يتولون النظر فيما ينبغي اقتناءه من الكتب وتكليف الطلبة بمطالعة الكتب غير المتداولة وكتب التاريخ والجغرافيا والمقامات وسير الملوك وما شابه ذلك من الكتب القديمة النادرة التي بما تفتح أبصارهم على المعارف الجديدة .

يجد الطلبة رغبة تامة وقوية لقراءة هذه الكتب والبحث عنها .

أما بالنسبة لبرامج التعليم القرآني في الزوايا والمدارس القرآنية بالرجوع إلى القرار الوزاري المؤرخ في 1999/10/01 تحت رقم 232 الذي ينص على :

. حفظ القرآن الكريم 22 ساعة في الأسبوع .

. التربية الإسلامية 02 ساعة في الأسبوع .

. المبادئ الأساسية في العادات 02 ساعة في الأسبوع .

. الترتيل والتجويد 02 ساعة في الأسبوع .

. أناشيد وطنية ودينية 01 ساعة في الأسبوع .

. خط 01 ساعة في الأسبوع .

. مجموع ساعات الدراسة 30 ساعة أسبوعيا<sup>46</sup> .

ومن خلال كل ما سبق ذكره فإن الزوايا ساهمت بقسط وفير من مجهوداتها العلمية والعملية وكفاءاتها المختلفة في دفع عجلة التعليم والتربية إلى الأمام بتعزيز مبادئ الدين الإسلامي وترسيخ قواعد اللغة العربية وما ينبثق منها من علوم مختلفة وذلك منذ أن وجدت الزوايا في الجزائر من عهدها الأولى في بداية القرن الرابع عشر الميلادي إلى العهد العثماني إلى عهد الاحتلال الفرنسي وحتى بعد الثورة

التحريرية والاستقلال .

**دور الزوايا بعد الاستقلال :** استمرت في متابعة طريقتها في التعليم القرآني وتحفيظ وتعليم المواد الشرعية للطلاب الذين لا يذهبون إلى المدارس الرسمية في أوقات خاصة. ثم اهتمت وزارة الشؤون الدينية بأمرها فأصبحت تزود المعاهد بالأئمة والوعاظ والإشراف على المساجد، وقد استعادت الزوايا حاليا نشاطها فبالإضافة إلى دورها التربوي يبقى دورها الاجتماعي قائما إلى اليوم ، حيث تعتبر أماكن لتحل قضايا وترايات مستعصية بين المواطنين والعائلات بعضها استعصى حتى على المحاكم ليحد خلاله في الزاوية التي تبقى تحتفظ بقدسيته بالإضافة إلى ذلك قامت هذه الزوايا بتأسيس جمعيات خاصة بما تسعى للحفاظ على الموروث الثقافي والطابع الخيري.

وقد بدأ يسطع نجمها في الجزائر في المدة الأخيرة فهي التي كانت منذ نشأتها عبر العصور قائدة التوجه الديني وورشة للوطنية الحققة بأنوار القرآن الكريم والسنة الشريفة .

### قائمة الهوامش:

1. مختار الطاهر فيلاي : نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني ، دارالفكر القرافيكي للطباعة والنشر ، باتنة الطبعة الأولى ، 1976 ، ص 35.
2. أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي من ق10 إلى ق14، الجزء الثاني ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص 198 . 261 .
3. محمد نسيب ، زوايا العلم والقرآن بالجزائر ، دار الفكر ، مطبعة النخلة ، الجزائر ، 1989 ، ص 31.
4. تركي رايح : التعليم القومي والشخصية الجزائرية . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط2 ، الجزائر ، 1981 ، ص 89.
5. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ج4، مرجع سابق ، ص 230.
6. نفس المرجع ، ص 465.
7. الطاهر بوناني : التصوف في الجزائر خلال القرنين السادس والسابع الهجريين ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، طبعة 1 ، 2000 ، ص 123.
8. عبد القادر الشطبي ، السلفية الوفية ، مذهب أهل الحق الصوفية ، دار هومة ، الجزائر ، 2002 ، ص 310.
9. أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء الأول ، ص 272.
10. مجلة الدراسات الإسلامية الصادرة عن المجلس الإسلامي الأعلى ، الجزائر ، ع02 ، ديسمبر 2002.
11. محمد نسيب . زوايا العلم والقرآن بالجزائر . دار الفكر - الجزائر ، 1998 ، ص 30.
12. صلاح مؤيد العقبي ، المرجع السابق ، ص 312.
13. محمد نسيب . زوايا العلم والقرآن في الجزائر . مرجع سابق ، ص 106.
14. أبو القاسم سعد الله . تاريخ الجزائر الثقافي (1830 . 1954) (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع) ص 26.
15. أبو القاسم سعد الله . تاريخ الجزائر الثقافي . ج1 ، مرجع سابق ، ص 268.
16. يحيى بوعزيز ، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1999 ، ص 134 . 135.
17. رايح تركي . مرجع سابق ، ص 244.
18. محمد نسيب . زوايا العلم والقرآن . ص 103.
19. محمد نسيب : نفس المرجع ، ص 119.
20. محمد علي دبو ، مرجع سابق ، ص 36.

21. محمد نسيب ، زوايا العلم والقرآن ، دار الفكر ، 1988 ، ص 21 . 22.
22. مجلة الأصالة : الحقيقة عن دور زاوية صدوق والإخوان الرحمانيين في ثورة 1871، عدد خاص 1973، ص 166.
23. صلاح مؤيد العمري الطرق الصوفية في الجزائر تاريخها ونشاطها بيروت ، 2002 ، ص 597.
24. مرجع سابق ، ص 605.
25. Louis rinne Marabout et Khouan a dolphe jourdan libraire editeur paris 1889 . p290
26. يحي بوعزيز: أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنين 20 و 19.
27. أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء الثالث ، ص 174.
28. نسيب محمد : زوايا العلم والقرآن ، مرجع سابق ، ص 24.
29. مجلة عصور، العدد 33 ، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع . الجزائر، ص 128.
30. محمد نسيب : زوايا العلم والقرآن ، مرجع سابق ، ص 24.
31. محمد نسيب : زوايا العلم والقرآن بالجزائر ، ص 46.
32. عبد القادر الشطبي : السلفية الوطنية ، مرجع سابق ، ص 310.
33. أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء الثالث ، ص 176.
34. مجلة عصور ، السنة الأولى 1423 ، ديسمبر 2002 ، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر العدد الثاني ، ص 103.
35. محمد نسيب : زوايا العلم والقرآن في الجزائر ، ص 47.
36. مجلة عصور ، العدد الثاني ، ص 104.
37. الطاهر زرهوني : التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرعاية ، الجزائر ، 1994 ، ص 13.
38. محمد نسيب : زوايا العلم والقرآن بالجزائر ، ص 47.
39. Y vonne Turin : Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale, école médecine religion, 1830/ 1870, année 1978, p 28.
40. أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء الثالث ، ص 173.
41. الطاهر زرهوني : التعلم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرعاية ، الجزائر ، 1994 ، ص 14.
42. تركي رابح : التعليم القومي والشخصية الوطنية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط 2 ، 1982 ، ص 267.
43. محمد نسيب : زوايا العلم والقرآن في الجزائر ، مرجع سابق ، ص 15.
44. محمد نسيب ، نفس المرجع ، ص 32.
45. رابح تركي ، مرجع سابق ، ص 294.
46. مطبوعة صادر من مديرية إدارة الوسائل المديرية الفرعية للهياكل الأساسية والإنجازات (وزارة الشؤون الدينية) ، 01/10/99 تحت رقم 232.